

(2)

«الدين عنصر موضوعى من

عناصر البناء الاجتماعى..»

obeikandi.com

كثرت حملات بعض رجال الدين وبعض قوى اليمين على الناصرية والناصريين ، باعتبار الناصرية ضد الدين أو أن الناصرية أحد القوى المضادة للدين مثل الشيوعيين؟

إن المبادئ التي قامت عليها الناصرية تسعى إلى أن يعيش الناس روح الدين لا مجرد مظاهره ، وأن يكون هناك تطابق دائم بين القول والفعل في الحياة الدينية وفي الحياة العامة. وأن يكون المجتمع في تقدمه وتطوره صورة كريمة لما أراده الله من خير للناس . وعلى هذا نص الميثاق «لقد كانت جميع الأديان ذات رسالة تقدمية ، ولكن الرجعية التي أرادت احتكار خيرات الأرض لصالحها وحدها ، أقدمت على جريمة ستر مطامعها بالدين. وراحت تلتمس فيه ما يتعارض مع روحه ذاتها لكي توقف تيار التقدم. إن جوهر الأديان يؤكد حق الإنسان في الحياة والحرية . بل إن أساس الثواب والعقاب في الدين هو فرص متكافئة لكل إنسان».

ومن هنا جاء الارتباط القوي في الناصرية بين الدين والحياة ، فالدين لا يرضى بطبقة تورث الفقر والجهل والمرض لغالبية الناس ، وتحتكر ثواب الخير لقلّة منهم . لذلك كان من الضروري إزالة العقبات والقيود والأغلال التي تحول دون

انطلاقة الأمة إلى مستقبلها. فكان من الضروري إعادة توزيع الأرض الزراعية وقيام قطاع عام يمثل مركز الثقل الاقتصادي في المجتمع والقضاء على الإقطاع في قطاع الخدمات حيث كان العلم والصحة وغيرها سلعا لا يستطيع شراؤها إلا القادر. بل إن العدل نفسه كان سلعة تشتري، وكان الحصول عليه يحتاج إلى أتعاب ينوء بها كاهل الفقير.

إن إزالة هذه العقبات كانت حتمية وطنية وقومية، إلا أنها في نفس الوقت واجب ديني، تستطيع أن تقره في قول الله تعالى محمدا مهمة الرسول «يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر» ويحل لهم الطيبات، ويحرم عليهم الخبائث، ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم» (الأعراف- 157). لقد بشر النبي محمد صلى الله عليه وسلم بالدين الاسلامي وسط بيئة جاهلية لا تعير للمبادئ أى اهتمام، فجاء هذا الدين ليغى حكم الطبقة وينشر الخير والمحبة والمساواة في صفوف المجتمع. ناهيا عن الفحشاء والمنكر والاستغلال، داعيا إلى التعاون والمشاركة بين أبناء المجتمع في سبيل الخير والحق والعدل.

وقد ثبت في الحديث الصحيح عن رسول الله أنه قال «الناس شركات في ثلاث: «الماء والكأ والنار» وفي حديث آخر «والملح». ويلاحظ أن هذه الأشياء ضرورية لحياة الناس. وليس

النص على هذه الأشياء على سبيل الحصر بل أن قواعد الشريعة تقضى بتأميم «ملك الأمة» كل ما كان مثل هذه المواد ضروريا للمجتمع . كما يكره الإسلام تركيز الثروات فى أيد قليلة فى المجتمع . لما يؤدى إليه ذلك من ترف وإفساد واستغلال . يقول الله تعالى فى كتابه الكريم «كى لا يكون دولة بين الأغنياء منكم» (الحشر- 7) وكما فى قوله تعالى «وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها ، فحق عليها القول فدمرناها تدميرا» (الإسراء- 16) ويقول المسيح عليه السلام فى بعض وصاياه ومواعظه : «لا يقدر أحد أن يخدم سيدين ، لأنه إما أن يبغض الواحد ويحب الآخر ، أو يلزم الواحد ويحتقر الآخر . لا تقدرون أن تخدموا الله والمال» (متى- 24) وقد اعتبرت الناصرية حق العمل مبدأ أساسيا من مبادئها تطبيقا لما جاء فى قوله تعالى «وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون» (التوبة- 105) . كما ربطت الأجر بالإنجاز تمشيا مع المبدأ الاشتراكى المعروف «من كل حسب قدرته ولكل حسب عمله» فهل هذا يتعارض مع قوله تبارك وتعالى «لكل درجات مما عملوا وليوفيهم أعمالهم وهم لا يظلمون» (الأحقاف- 19) وكما يقول «وما تجزون إلا ما كنتم تعملون» (الصافات- 39) وإذا كان من مبادئ الثورة «إقامة العدالة الاجتماعية» وذلك للقضاء على الاستغلال والاستبداد فى جميع صورته، وإتاحة الفرصة لكل مواطن فى نصيب عادل من الدخل القومى مع

العمل على تحريره من كل قلق يبدد أمن المستقبل فى حياته وحياة أسرته . فقد كانت «التأمينات الاجتماعية» من أهم الوسائل لتحقيق هذه الأهداف جميعا ، فضلا عن الحفاظ على كرامة الفرد وتأكيد حقه فى الحياة الحرة ، وتحقيق كل عناصر الاستقرار والاطمئنان له ولأسرته . وأصبح نظام معاشات العمل يظل جميع العاملين فى حالات الشيخوخة والعجز والوفاة واصابات العمل كما صدرت قوانين التأمين الصحى وتأمين البطالة وغيرها .

كل ذلك كان تطبيقا لمبدأ التكافل الاجتماعى فى الإسلام . حيث يكون المجتمع مسئولا عن أبنائه غير القادرين على العمل لأسباب مختلفة ، وليس لما يفسره البعض من «تصدق الأغنياء على الفقراء بما يتنافى مع قوله تبارك وتعالى «وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا» (البقرة 143) ومعنى «وسطا» هنا «عدلا» (1) ويفسر البعض «أمة وسطا» أى أمة ليس بها أغنياء أو فقراء.

لقد كان الأنبياء ينشدون مجتمعا لا طبقيًا ، تسوده العدالة ويعمه الرخاء وأنا لنجد فى تعاليمهم الأصول الفكرية لاشتراكيتنا المعاصرة . ومن هذا الأساس العريض تنطلق رسالة الدين عبر العصور .. الرسالة التى حملها الأنبياء والمرسلون

جميعا . والتي جاءوا بجوهرها والتي أمرنا ربنا أن نؤمن بها وبهم جميعا فى قوله تعالى «قولوا آمنا بالله ، وما أنزل علينا؛ وما أنزل إلى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والأسباط ، وما أوتى موسى وعيسى ، وما أوتى النبيون من ربهم. لانفراق بين أحد منهم ونحن له مسلمون“ (البقرة- 136).

إن مبادئ الناصرية تمثل عمقا تاريخيا يربط بين حياتنا فى متابعتها وبرز شأن الدين فى نضالنا الوطنى ، متفاعلا مع الموارىث الحضارية عامة والعربية خاصة- دون انغلاق عليها . وإنما أثرتها بالتفاعل الدائم مع الحضارات العالمية دون أن تفقد شخصيتها .

وإذا كان اهتمام الناصرية بالقضايا العالمية . قضايا الاستعمار والتفرقة العنصرية والتخلف الاجتماعى والاقتصادى.. إذا كان لهذا الاهتمام جوانبه الإنسانية والحضارية الشاملة، ففيها أيضا يلتقى جوهر الدين بحقائق الحياة. ويعمل كلاهما من أجل كرامة الإنسان حيث يكون.

إن الناصرية تعتبر الدين عنصرا موضوعيا من عناصر البناء الاجتماعى . ووظيفة أبدية للروح الإنسانية، كما أنه يملك تعبيرا أدراكيا وميدانا من ميادين المعرفة . كما أنها تعطى أهمية لمغزى تطور التاريخ وحتميته. إلا أن هذا المغزى لا يذوب فى خضم التاريخ نفسه. بل يوجد من القيم والأنماط ما يعلو

على مجريات التاريخ . وان الحكم على هذه المديرات يجب أن يكون على ضوء هذه القيم . والمقصود بذلك هو القيم الروحية والخلقية . وهذا ما يميز الناصرية عن غيرها من النظريات المادية التي تعطى أهمية فقط لتطور التاريخ وحتميته . فإذا كان هذا هو فهم الناصرية للدين وارتباطه بالحياة . وإذا كان من أهم أهدافها تحرير الإنسان من الظلم والغاء الاستغلال عنه . فهل يمكن أن تكون متعارضة مع تعاليم الله ورسالاته السماوية؟ يقول الميثاق فى هذا الصدد : «إن الرسالات السماوية لا تتصادم فى جوهرها مع حقائق الحياة . ولكن الرجعية تخلق للدين تفسيرات تتعارض مع حكمته الإلهية السامية».

أما إذا كان بعض رجال الدين وبعض قوى اليمين تتهم الناصرية بأنها ضد الدين . فان ذلك يرجع إما إلى جهلهم بحقيقة رسالة الأديان ، التى هى ليست مجرد طقوس وتكاليف تؤدى ، بقدر ما هى قيم ومبادئ تتصل بضمير الإنسان وبقلبه ، ومدى علاقته بربه والمجتمع الذى نعيش فيه . وإما أنهم يتلقون وحيهم من بعض القوى القابضة فى قصور الرجعية ، التى يزعجها ما تحمله الناصرية من مبادئ تقدميه وتحريرية . إن عاجلا أو آجلا ستقوض هذه القصور على رؤوس أصحابها ليستطيع الشعب العربى أن يشق طريقه فى سبيل الحرية والعزة والكرامة .

إن أولئك وهؤلاء ينطبق عليهم قول الله تعالى «لا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون» (البقرة 40) .